تفسير سورة
القيامة

ترتيبها ٧٥ — سُورَةُ الْقِيَامَةِ — آياتها ٤٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ
ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ
يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ
أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ
يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ
وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾
كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾
كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۜۡ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ

﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ
فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ
ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾

[بسم الله الرحمٰن الرحيم][1]

الحمد لله ربّ العالمين. نذكر في هذا الإملاء تفسير سورة القيامة:

قوله عزّ وجلّ: ﴿لا أُقْسِمُ بيوم القيامة﴾ ﴿١﴾ قد تكرّرت هذه الصيغة في القسم، وفيه احتمالان:

أحدهما: زيادة (لا) كما هي في: ﴿ما منعك ألّا تَسْجُدَ﴾[2].

وما ألوم البيض ألّا تسخرا

الثاني: أن تكون على أصلها نافية، أي لا أقسم بيوم القيامة، بل بما هو أعظم منه، وهو ربّه عزّ وجلّ أو صفاته[3]، وقد ذكرنا هذا في موضع آخر في: ﴿لا أقسم بالشفق﴾[4]، والقسم: الحلف، كأن الحالف يقسم الموجودات إلى مخلوق به وغيره.

---

(١) تكملة من المحقق. وفي المخطوطة: (قال الشيخ الإمام العلامة سليمان بن عبد القوي البغدادي الحنبلي رحمه الله تعالى: الحمد لله...).

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(٣) ينظر الفراء ٢٠٧/٣، والطبري ١١٨/٢٩، والمشكل ٤٢٨/٢، والقرطبي ٩١/١٩، والعكبري ٢٧٤/٢، والبحر ٣٨٤/٨، والدر المصون ١٧٦ ب.

(٤) سورة الانشقاق: الآية ١٦.

واليوم في الحقيقة: ما بين طلوع الفجر أو الشمس وغروبها، والمراد به ها هنا وقت قيام الساعة، وقد ورد الشرع بتسميته يوماً على طوله[1]، وذكر الفقهاء أنه لو قال لها: أنت طالقٌ يوم يقدم فلان، فقدم ليلاً حنث إن أراد باليوم الوقت، وإلّا فلا.

والقيامة: كأنها واحدة القيام، لأن الناس يقومون لربّ العالمين قَومةً واحدة حتى ينفصل أمرهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولا أُقْسِمُ بالنَّفْس اللوَّامة﴾ ﴿٢﴾ النفوس ثلاث: مطمئنة لفعل الخير: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾[2] وأمّارة: ﴿إنّ النفسَ لأمّارةٌ بالسُّوءِ﴾[3] ولوّامة، وهي هذه، إما لأنّها تلوم صاحبها على فعل السوء، أو لأنها تتلوّم فيما تفعل، أي تتثبّت، ومنه قول عنترة:

. . . . . لأَقْضِي حاجةَ المُتَلَوِّمِ[4]

وهل هذه نفوس متعدّدة أو قوى للنفس الواحدة، فيه تردّد، والآخر أشبه. وإنما أقسم بالنفس اللوّامة لأنها لتثبّتها في أفعالها ولومها على ما لا ينبغي صارت محترمة عظيمة القدر، لها من الوقع ما للناهين عن المنكر ونحوهم.

---

(١) في آيات عدّةٍ، كقوله تعالى ـ سورة البقرة: الآية ٤٨: ﴿واتّقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً﴾ وفي سورة الحج ٤٧: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة ممّا تعدّون﴾.

(٢) سورة الفجر: الآية ٢٧.

(٣) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٤) البيت من معلقته، ديوان ١٨٤، وتمامه:

فوقفت فيها ناقتي، فكأنّها فدن . . . . . .

والفدن: القصر.

قوله عز وجل: ﴿أيحسَب الإنسان أن لن نَجْمَعَ عِظامَه﴾ ﴿٣﴾ هذا استفهام إنكار على منكري البعث، أي: أيظنّ الإنسان، يُراد[١] به صنف الكفار المنكرين للبعث ﴿أنْ﴾ فيها ضمير شأن مقدّر، أي أنه أو أننا لن نجمع عظامه بعد تبدّدها وانفصالها، وفيه تنبيه على إثبات الجوهر الفرد وانحلال الأجسام إليه، ولولا ذلك لقيل: أن لن نُعيد، أو نخلق عظامه.

﴿بلى﴾ كلمة إيجاب بعد النفي ﴿قادِرين﴾[٢] أي بلى نجمعها قادرين حالَ أي حال قدرتنا على تسوية بنانه[٣]، وهي حال عامة؛ لأن قدرة الله لا يخلو منها وقت، ثبت ذلك بالدليل، ويقال: إن أصل ﴿بلى﴾ بل، زيدت عليها الألف ليتمّ الوقوف عليها[٤]، والبنان: رءوس الأصابع. وتسويته: نهاية الخلق. وسوّاه: أعاد تركيبه كما كان أول مرة على صفة السواء، يعني العدل والاستواء. وجواب القسم محذوف دلّ عليه سياق الكلام، تقديره: أقسم بيوم القيامة لنجمعَنَّ الإنسان ولنسوينّ بنانه[٥].

قوله عز وجل: ﴿بل يُريدُ الإنسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَه﴾ ﴿٥﴾ الفجور: الفُسوق، وأصله الميل عن الحق أو خرقه وصدعه كانصداع الفجر. والمعنى: إن الإنسان المنكر للبعث بعد قيام

---

(١) في الأصل: (أيظن الإنسان أن يراد...).

(٢) تمام الآية الرابعة: ﴿بلى قادرين على أن نسوّي بنانه﴾.

(٣) الطبري ٢٩/١١٠، والمشكل ٢/٤٢٩، والعكبري ٢/٢٧٤، والبحر ٨/٣٨٥.

(٤) المغني ١٢٠.

(٥) البحر ٨/٣٨٤.

براهينه لا يخفى عليه إمكانه، بل هو يريد إشعار نفسه بعدم البعث ليرسلها في الفجور أمامه فيما بقي من عمره. وهذا هو سبب استرسال الملاحدة من القرامطة وغيرهم في الظلم والفجور.

﴿يَسْأَلُ﴾ يعني الإنسان ﴿أَيّانَ يومُ القيامة﴾ ﴿٦﴾ «أيان» ظرف زمان، أصله: أيّ أوان، فخُفّف وأُدغم ورُكّب. والمعنى: يسأل سؤال استهزاء أو تكذيب بها: ﴿يسألك الناسُ عن الساعةِ قُلْ إنّما عِلمُها عندَ ربّي﴾[1] و﴿متى هو قل عسى أن يكون قريباً﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿فإذا بَرَقَ البَصَر﴾ ﴿٧﴾ الآيات، لما استهزأ بها الإنسان وكذّب بوقوعها أخذ الله يتوعّده بها، ويذكر صفاتها ثم يبرهن على وقوعها آخر السورة أي: فإذا برق البصر وجدت بقية أماراتها المذكورة، صدّق الإنسان المكذّب بها، ثم وقع في ورطتها وقوعاً لا مفرَّ منه. وبرِق البصر يبرَق، وزن ركب يركب: إذا شخص لاشتداد ظهور بريقه بذلك، وهذا الشخوص يكون عند الموت لمعاينة الملائكة، وعند القيام من القبور لمعاينة أهوال الساعة: ﴿خاشعةً أبصارهم يخرجون من الأجداث﴾[3].

﴿وخسَف القمر﴾ ﴿٨﴾ ذهب نوره كما تكون الشمس. ثم خسوف النيِّرين يحتمل أنه بسببه في الدنيا تقديراً من الله

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥١.

(٣) سورة القمر: الآية ٧.

عز وجل، ويحتمل أن يكون لاضطراب أحوال الأفلاك بانشقاق أحوال السماوات وطيّها وتبديلها. ويحتمل غير ذلك.

﴿وجُمع الشمسُ والقمر﴾ ﴿٩﴾ يحتمل أن يجمعا في فلك واحد كما تدنو الشمس مقدار ميل[1]، أو ينفصلان من مركزيهما ويكوّران في النار كما ورد في الحديث[2].

﴿يقول الإنسانُ يومَئذٍ أين المَفَرّ﴾ ﴿١٠﴾ هذا جواب: ﴿إذا برِق البصر﴾ والإنسان هنا هو الإنسان المذكور أولاً، وهذا يردّ قول من زعم أن الاسم إذا تكرّر معرفة دلّ على التغاير. و﴿يومئذ﴾ أصله: يوم إذ يُجمع الشمس والقمر، أو: يوم إذ ذاك، فعوّض عن الجملة المضاف إليها التنوين.

﴿أين المَفَرّ﴾ حكاية قول الإنسان، والمَفَرّ: موضع الفِرار: أي تضيق به المذاهب لشدّة الأمر، فلا يدري أين يفرّ، فيسأل حقيقة أو بلسان الحال: أين المفرّ، أي لو كان وقت سؤال عن المفرّ لسأل عنه، وهذا يشهد له قوله عزّ وجلّ: ﴿يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا...﴾[3] الآية. وذلك لضيق المذاهب وتعذّر المهرب عليهم، لإحاطة الملائكة بهم، واحتياطهم عليهم.

قوله عز وجل: ﴿كلّا لا وَزَرَ. إلى ربّك يومئذٍ المُسْتَقَرّ﴾ ﴿١١﴾، ﴿١٢﴾ ﴿كَلّا﴾ تستعمل ردعاً، أي كأنه يردع عن المفرّ: أي

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب الجنة ـ باب ٦٢ ـ ٢١٩٦/٤٤.

(٢) ينظر الطبري ١١٣/٢٩، والقرطبي ٩٦/١٩، ٩٧، والدر المنثور ٢٨٨/٦.

(٣) سورة الرحمٰن: الآية ٣٣.

يمنع منه ويزجر عنه، فلا يقدر عليه، وفيها معنى التشفّي، أي يطلب المفرّ فلا يجده، وإن كان لها اشتقاق فمن الكُلول: كلّ السيفُ يكلّ: إذا وقف، وفي تعذّر المفرّ عليه معنى الكلول على ما هو بيّن. ﴿والوَزَر﴾ الملجأ، يقال: لا وزر ولا ملجأ ولا معاد ولا محيد ولا محيص، بمعنى، وكأن الوزر مأخوذ من معنى الأزر وهو الظهر: ﴿أَشْدُدْ بِه أزري﴾[1] وتكون واوه منقلبة عن همزة، قال الشاعر:

النّاس أَلْبٌ علينا فيك ليس لنا إلا السيوفُ وأطراف القنا وَزَرَ[2]

أي ملجأ. والمعنى: لا وزر للإنسان.

ثم استأنف الله عزّ وجلّ مخاطباً له: ﴿**إلى ربّك**﴾ أيها الإنسان ﴿**المُسْتَقَرّ**﴾ ﴿١٢﴾ أي موضع القرار: أي الجنّة أو النار، أو إلى حكم ربّك.

﴿**يُنَبَّأُ الإنسانُ**﴾ أي يخبر بما قدّم من عمله وأخّر[3]، يعني في أول عمل وأخر. ومثله: ﴿عَلِمَتْ نفسٌ ما قدَّمَتْ وأَخَّرَتْ﴾[4]، وفي هذا إشارة إلى أنّه محفوظ عليه عمله، غير مغفول عنه، ومنه: ﴿ثم يُنبّئكم بما كُنتم تعملون﴾[5] والمنبِّىء هو الله عز وجل لأنّه الحاكم المحاسب.

(١) سورة طه: الآية ٣١.

(٢) ورد البيت في الكتاب ١/٣٧١، وشرح المفصل ٢/٧٩، منسوباً لكعب بن مالك، وهو مفرد في ديوانه ٢٠٩. وورد دون نسبة في المقتضب ٤/٣٩٧. والبيت من قصيدة في ديوان حسان بن ثابت ٢٠٦.

(٣) تمام الآية ١٣: ﴿يُنَبَّأُ الإنسانُ يومئذ بما قدّم وأخّر﴾.

(٤) سورة الانفطار: الآية ٥.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٦٠.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**بل الإنسانُ على نفسه بصيرة**﴾ ﴿١٤﴾ هذا إضراب يقتضي مُضرَباً عنه مقدّراً، دلّ عليه سياق الكلام، أي ليس الإنسان مهملاً سدى، بل هو بصيرة: أي شاهد ذو بصيرة على نفسه، يشهد عليها يوم القيامة ﴿يوم تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجلهم﴾[1] ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾[2].

﴿**ولو ألقى معاذيره**﴾ ﴿١٥﴾ أي لو اعتذر بما أمكنه من المعاذير لم ينفعه مع شهادته على نفسه، وإلقاء المعاذير هنا كإلقاء السمع في سورة «ق» في بلاغة الاستعارة. والمعاذير جمع الجمع، يقال: عذر وأعذار ومعاذير، وإن سمع أو جاز مِعذار فمعاذير جمعه، نحو مِقلاد ومقاليد[3].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**لا تُحَرِّكْ به لسانَكَ**﴾ الآية. الضمير للقرآن، كان جبريل عليه السلام ينزل به يلقيه إلى النبي ﷺ فيسابقه التلاوة حرصاً على حفظه، فقيل له: اسمعه ولا تبادر به جبريل، فإنّا سنُحفظكه، فتجتمع لك مصلحتا سماعه وتدبّره من جبريل، وحفظك إيّاه بإعانتنا لك عليه[4]، ونظيره ﴿سنقرِئكَ فلا تنسى﴾[5] و﴿لا تُحَرِّكْ به لسانَك﴾ أبلغ من: لا تبادر أو تنطق به على ما لا يخفى. ﴿**لِتَعْجَلَ به**﴾ ﴿١٦﴾ أي بحفظه.

---

(١) سورة النور: الآية ٢٤.

(٢) سورة فصلت: الآية ١.

(٣) ذكر المِعذار في اللسان ـ عذر، والقرطبي ١٩/١٠٠، وينظر البحر ٨/٣٨٦، ٣٨٧.

(٤) ينظر البخاري التفسير سورة القيامة ٨/٦٨٠، والطبري ٢٩/١١٦، والدر المنثور ٦/٢٨٩.

(٥) سورة الأعلى: الآية ٦.

﴿إنّ علينا جمعه﴾ في قلبك ﴿وقرآنَه﴾ ﴿١٧﴾ أي قراءته، أي تيسيرك لها وإعانتك عليها.

﴿فإذا قَرَأْناه﴾ يعني رسولنا جبريل ﴿فاتَّبِعْ قُرآنَه﴾ ﴿١٨﴾ أي قراءته، أي تابع فيها جبريل. والقرآن مصدر كالقراءة، ومنه قول الشاعر:

ضَحَّوا بأشمطَ، عنوانُ السجودِ به يقطِّع الليلَ تَسبيحاً وقُرآناً[1]

أي: وقراءة.

قوله عزّ وجل: ﴿ثم إنّ علينا بيانَه﴾ ﴿١٩﴾ البيان: إيضاح الإشكال، والقرآن فيه من المجمل والمتشابه ما يحتاج إلى الإيضاح، وفي الآية دلالة على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب[2]، وكذلك ﴿كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثم فُصِّلَتْ﴾[3] لأنّ ﴿ثم﴾ للتراخي، فاقتضى تراخي البيان والتفصيل، ومعنى ﴿علينا بيانه﴾ أي هو واجب منّا، لا أنّه واجب علينا، كقوله عزّ وجلّ: ﴿حقّ القولُ منّي﴾[4] ويجوز أن يكون معناه واجب علينا بالتزامنا كما يوجب الإنسان على نفسه بنذره.

قوله عزّ وجلّ: ﴿كلّا﴾[5] قد سبق بيان معناها،

---

(١) البيت لحسان بن ثابت ـ ديوان ٢١٦، وتفسير غريب القرآن ٤٢.
وهو في عثمان بن عفان رضي الله عنه. والأشمط: الذي اختلط سواد شعره ببياض.

(٢) ينظر فتح الباري ٦٨٣/٨.

(٣) سورة هود: الآية ١.

(٤) سورة السجدة: الآية ١٣.

(٥) تمام الآية ٢٠: ﴿كلّا بل تحبّون العاجلة﴾.

والتقدير ـ والله عزّ وجلّ أعلم ـ أنه لا يخفى عليهم صدق القرآن مع وضوح البرهان، لكنّهم يؤثرون حبّ الدار العاجلة ـ وهي الدنيا ـ على الآخرة، فتغلبهم شهواتهم على الكفر، وهذا كما أن أبا بصير الأعشى الشاعر المسمّى بصناجة العرب، وفد على النبي ﷺ ليؤمن، فأُخبر أنّه يحرّم الخمر والزنا ـ وكان يحبّهما، فقال: أرجع فأتمتّع بهما سنة ثم أعود فأسلم، فعاد لذلك فمات في الطريق، فهذا شخص غلبته شهوته على الكفر بعد أن صرّح بالإيمان في قصيدته الدالية التي مدح بها النبي ﷺ[1].

﴿وتَذَرُون الآخرة﴾ ﴿٢١﴾ أي العمل لها والاعتناء بها، أو يعرضون عنها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وجوهٌ يومئذٍ﴾ أي يوم وقوع ما سبق من الأمور ﴿ناضرة﴾ ﴿٢٢﴾ من النضارة وهي البهجة المستميلة للقلوب، ومنه: عيش نضير، وأخضر ناضر.

﴿إلى ربِّها ناظرة﴾ ﴿٢٣﴾ أي له رائية. والنظر إذا عُدّي بـ﴿إلى﴾ اقتضى الرؤية في اللغة. وقالت المعتزلة: إنّما يقتضي تقليب آلة الرؤية نحو المرئي، ولا يلزم من ذلك الرؤية، بدليل قوله عز وجل: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾[2] واعترضوا على الآية من وجوه: **أحدها**: إضافة النظر إلى الوجوه،

---

(١) ينظر الخبر في الشعر والشعراء ١/٢٥٧. والقصيدة المذكورة في ديوانه ١٧١ ـ ١٧٣، ومطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وعادك ما عاد السليم المسهّدا

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٨.

وليست محلّ الرؤية. **الثاني**: أن ﴿إلى﴾ ليس حرف جر، بل هو اسم بمعنى النعمة، وهو واحد الآلاء، والمعنى: وجوه ناظرة نعمةَ ربّها، منتظرة أو مشاهدة. **الثالث**: المعارضة بـ ﴿لا تُدركه الأبصار﴾[1].

وجواب الأول أنّ الوجوه محلّ آلة النظر، فلذلك أُضيف إليه، على أنّه يحتمل أن آلة النظر تصير في جميع الوجوه لتقوى على رؤية الربّ جلّ جلاله، وذلك الوقت حين خرق العادات، وتغيير البنية.

وجواب الثاني أن حمل ﴿إلى﴾ على الاسمية خلاف الظاهر المتبادر.

وعن الثالث أنه محمول على نفي الإحاطة، أو على حال الدنيا[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ووجوهٌ يومَئِذٍ بَاسِرةٌ**﴾ ﴿٢٤﴾ أي كالحة منقبضة، من: عبس وبسر ﴿**تظنّ**﴾ يعني الوجوه ﴿**أن يفعل بها فاقرة**﴾ ﴿٢٥﴾ أي داهية تكسر فِقار الظهر، إشارة إلى عظمها وشدّتها. والظنّ هنا بمعنى اليقين، لأنّه وقت العيان، نحو: ﴿فظنُّوا أنّهم مواقعوها﴾[3]، ومثله: ﴿ووجوهٌ يومَئذٍ مُسْفِرة﴾[4] الآية.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٢) ينظر الطبري ١٩٩/٧، والقرطبي ٥٤/٧، والدر المنثور ٣٧/٣، والبحر المحيط ٣٨٩/٨، والمشكل ٤٣٢/٢، والعكبري ٢٧٤/٢.

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٣.

(٤) سورة عبس: الآية ٣٨.

قوله عزّ وجلّ: ﴿كلّا﴾ ردع للإنسان عن حسبانه عدم البعث كما سبق. ﴿إذا بلغت التراقي﴾ ﴿٢٦﴾ يعني الروح بلغت الحلقوم، والتراقي جمع ترقوة، وهي العظم الناتىء من جانبي اللَّبَّة.

﴿وقيل من راق﴾ ﴿٢٧﴾ أي من يرقي هذا المريض ويطبّه، من الرقية، كما يُرقَى اللديغ والمسحور، أي طلب الرقية للمريض لشدّة الأمر عليه[1].

﴿وظنّ﴾[2] يعني المريض ظنّ أن هذا الوقت وقت الفراق، يعني فراق الدنيا.

﴿والتفّت الساق بالساق﴾ ﴿٢٩﴾ يحتمل أمرين: أحدهما: التفاف إحدى الساقين بالأخرى عند الموت لشدّة الدبّ، والثاني: التفاقهما في المشي عند التعب والرواح إلى الموقف من الخوف والجزع. وعلى الوجهين ينبني ﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ ﴿٣٠﴾ فعلى الأول مساق الروح إلى حكم الله عز وجل. وعلى الثاني مساق الإنسان إلى بين يديّ الله عز وجل في الموقف[3].

قوله عز وجل: ﴿فلا صدَّقَ ولا صلَّى﴾ ﴿٣١﴾ هذا تشنيع على الكافر، وبعضهم يقول: تقدير هذا: لم يصدّق ولم يصلِّ، لأن هذا نفي في الماضي، وحرفه «لم». و«لا» إنما ينفى بها

---

(١) وقيل: من يرقى بروحه، أملائكة الرحمة، أم ملائكة العذاب؟ الطبري ١٢١/٢٩، والقرطبي ١١١/١٩.

(٢) تمام الآية ٢٨: ﴿وظنّ أنه الفراق﴾.

(٣) الطبري ١٢٢/٢٩، والبحر ٣٩٠/٨.

المستقبل، ويمكن تخريجه على الظاهر بأن يجعل جواب سؤال مقدّر، كأنّ قائلاً قال: هذا الكافر هل صدّق أو صلّى؟ أو: هل كان يصدّق أو يصلي؟ فقيل: لا صدّق ولا صلّى، وهو كلام صحيح لا إشكال عليه.

وصدّق يحتمل أنّه من الصدقة، ويحتمل أنّه من التصديق: وهو الإيمان[1]، وهو أصحُّ لوجهين: أحدهما ليجمع بين نفي أصل الإيمان وفرعه وهو الصلاة. والثاني: مقابلته بـ ﴿كذّب وتولّى﴾ أي كذب الإيمان وتولّى عنه وعن الصلاة وغيرها من أحكامه.

﴿ثم ذهب﴾ أي بعد تولّيه عن الإيمان ذهب **﴿إلى أهله يتمطّى﴾** (٣٣) مرحاً، وأصله يتمطّط أي يختال ويتمدّد في مَشيه، وهي المِشية المُطيطاء المذكورة في الحديث[2]، فقلبت إحدى الطاءين ألفاً أو ياءً تخفيفاً، كما في «تقضّى البازي»[3] وبابه، وهذا قريب من قوله عز وجل: ﴿إنّه كان في أهله مسروراً﴾[4] لأن المطيطاء سببها المرح والسرور.

قوله عز وجل: **﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثم أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾** (٣٤) (٣٥) هذا كلام يستعمل فيمن سلم من عَطَب أو نحوه،

---

(١) القرطبي ١٩/١١٣.

(٢) في الترمذي: «إذا مشت أُمّتي بالمطيطاء، وخدمها أبناء الملوك ـ أبناء فارس والروم سُلّط شرارها على خيارها»؟ قال الترمذي: حديث غريب. كتاب الفتن ٧/٣٩.

(٣) وذلك من قول العجاج:

دانى جناحيه من الطّور فمرّ ... تقضّي البازي إذا البازي كَسَرْ

وأصله تقضّض. ديوان العجاج ٢٨، وإصلاح المنطق ٣٣٤.

(٤) سورة الانشقاق: الآية ١٣.

وتكريره تأكيد له، وأصله: هذا أولى لك: أي السلامة كانت أولى لك من العَطَب، أي لقد كدت تعطَب، ولكن كانت السلامة أولى لك، ثم هذا الكلام في من؟ يحتمل وجهين: أحدهما أنه في جانٍ مسامَح في الحساب، يقال له: سلمت من العذاب وكان ذلك أولى لك. الثاني: أنه في الكافر حين كان يتمطّى في الدنيا، أي سلمت من أن تعاجَل بالعذاب فيخسف بك لاختيالك، وكان ذلك أولى لك، كما ثبت في الحديث: «أن رجلاً كان ممّن قبلكم يمشي الخيلاء فخسف به، فهو يتخلخل في الأرض إلى يوم القيامة»[1] أما في الآخرة فالكافر لا يسلم حتى يقال له ذلك.

قوله عز وجل: ﴿**أيحسبُ الإنسان أن يُتْرَكَ سُدى**﴾ ﴿٣٦﴾ أي مهملاً لا رقيب عليه، ولا دائن، ولا مجازٍ له، إنكاراً لهذا الحسبان عليه.

وقد ذكر الله عزّ وجلّ من هنا إلى آخر السورة دليلين على البعث: أحدهما هذا، وتقديره أن الإنسان ومبدأه ومعاشه في غاية الحكمة والإتقان، ومن المحال عادةً أن ما هذه حاله يترك سدى لا يجازى على ظلم، ولا يؤخذ له ومنه بحق، لأن هذا الإهمال ينافي في الحكمة التي دلّ عليها مبدأ الخلقة، وإلى هذا أشار ابن عباس حين رأى أن ظالماً شديد الظلم مات ولم يصب من أهل ولا مال ولا غير ذلك، ولا أخذ منه بحقّ فقال: «أشْهَدُ أن للناس معاداً، يُؤخذ منه للمظلوم من الظالم» ملاحظة هذا الدليل.

---

(١) ينظر البخاري ـ اللباس ١١/٢٥٨، ومسلم اللباس ٣/١٦٥٣.

الثاني قوله عز وجل: ﴿**ألم يكُ نُطفة**﴾[1] الآية ٣٧ النطفة: القطرة من الماء، أو القليل منه، والمنيّ: ماء الإنسان ﴿يُمْنَى﴾ يُنزل، وأصله يقدّر ويقتطع، ومنه المنيّة لقطعها الآجال بحكم القدر. و«العلقة» قطعة دم يستحيل إليها المنيّ. و«الخَلق» الاختراع، أو التقدير. والتسوية: التهيئة للمراد كما سبق أول السورة والمعنى فخلقه فسوّاه، ولكن ترك الضمير لظهور إرادته، وليناسب الفواصل. وتقرير هذا الدليل بما سبق من اعتبار المعاد بالمبدأ، وقد سبق تقريره من طرق في العقيدة.

قوله عز وجل: ﴿**فَجَعَلَ منه الزَّوْجَين الذكرَ والأُنْثى**﴾ ﴿٣٩﴾ دليل على انحصار نوع الإنسان في الصنفين، وأن الخنثى ليس صنفاً ثالثاً، بل هو أحدهما، غير أنّه مبهم مشكل، ولذلك قد ينتهي أمره إلى اللحوق بأحدهما.

يقال: إنّ من ختم هذه السورة استُحبّ له أن يقول: اللهم بلى وآمنت، أي إنّك قادر على أن تحيي الموتى[2].

* * *

انتهى الإملاء على هذه السورة، وقد تضمَّنت مطلب إثبات المعاد، والبرهان عليه، ورؤية الله عز وجل، وغير ذلك ممّا وقعت الإشارة إليه.

والله أعلم بالصواب

* * *

---

(١) تمام الآيتين ٣٧، ٣٨: ﴿**ألم يك نطفةً من منيّ يُمنى. ثم كان عَلَقَةً فخلق فسوّى**﴾.

(٢) آخر السورة: الآية ٤٠: ﴿**أليس ذلك بقادرٍ على أن يُحْيِيَ الموتى**﴾.
ينظر الطبري ٢٩/١٢٥، والقرطبي ١٩/١١٧، والدر المنثور ٦/٢٩٦.